

حتى وقت قريب كان العالم كله، بمنظريه السياسيين وإعلاميه ومؤرخيه، ينظر إلى دول أمريكا اللاتينية على أنها الحديقة الخلفية للبيت الأبيض والمنجم الماسي الذي تستجر الولايات المتحدة ثرواتها منه، لم يشذ عن ذلك سوى كوبا بإرثها الثوري الذي رسّخه القائد الأمثلة فيديل كاسترو...

اليوم ومع الكثير من التحوّلات التي سرّعتها حرب بوش الاستباقية على "الإرهاب"، باتت الأنظمة السياسية الناهضة في أمريكا اللاتينية أكثر وعياً بأنها ما عادت ساحة حرب وتناقضات تصدّر إليها الولايات المتحدة أزمتها الداخلية.. بل والتفتت على نحو مغاير إلى تأييد الحق الفلسطيني الذي ظل غائباً ومغيباً لسنوات طويلة، والإيمان بأن الشعب العربي هو غير ما صورته الإدارات الأمريكية المتعاقبة على البيت الأبيض.

وعلى هذا صار لزاماً علينا نحن العرب الاستفادة من هذه التحوّلات الكبرى، واستثمار التوجه اللاتيني نحو المنطقة العربية بعمقه الإنساني المتوازي والمتواشج مع وجود ملايين المغتربين العرب ولاسيما من سورية ولبنان، لإقامة أمتن العلاقات مع هذه الدول وجالياتها العربية، وهل أدلّ من اختيار الرئيس البرازيلي لولا دا سيلفا سورية كأول محطة يزورها في جولته إلى الشرق الأوسط، وكذا الأمر بالنسبة للزيارات المكوكية للرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز إلى المنطقة ومواقفه المناصرة للقضايا العربية والتي تبدت جليةً أثناء العدوان الذي شنته إسرائيل على كل من لبنان وقطاع غزة وطرده للسفير الإسرائيلي في كراكاس.

في هذا التوقيت تأتي زيارة السيد الرئيس بشار الأسد إلى كل من فنزويلا وكوبا والبرازيل والأرجنتين، كتأكيد على أن سورية التي استقطبت العالم وأذهلته بمواقفها السياسية الثابتة وبتجاوزها محاولات الحصار والإقصاء، فهمت وبشكل مبكر هذه التحوّلات الجيوسياسية، وهي تسعى من منطلق التوسع بالعلاقات الدولية إلى أن تكون هذه الدول بوابتها نحو أمريكا اللاتينية لشرح طبيعة قضايانا العادلة التي شوّهتها الدعاية الصهيونية، ومدّ جسور المحبة بين ملايين المغتربين ووطنهم الأم سورية.

على أنه من المبكر استقراء أبعاد ودلالات هذه الجولة التي ستدعم بتوقيع مجموعة من اتفاقيات التعاون على المستويات السياسية والاقتصادية، ذلك أن إثمارها مرتبط حتماً بالسنوات القادمة التي تبشّر بأفاق متسعة تزيد من رسوخ مكانة سورية على الخارطة السياسية، غير أنها بدلالاتها السياسية القريبة تشير إلى أن هذه العلاقات المتنامية المطردة هي خطوة في الاتجاه الصحيح تحسب للبصيرة السياسية المتقدمة للرئيس الأسد.

كراكاس، هافانا، برازيليا، بيونس آيرس، ستقف طويلاً عند هذه المحطة الهامة وهي تعرف أن سورية صارت رغم البعد الجغرافي قريبة من القلب والروح والوجدان.

أفق مختلف في العلاقات الدولية

فاديا جبريل